

محاضرة: النبوة اصطفاء وبشرية الأنبياء عليهم السلام

أولاً: النبوة اصطفاء واختيار من الله عزّ وجلّ:

النبوة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده فلا تُنال بالكسب، ولا بتكليف العباد واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتهذيب الروح وتصفية النفس وتتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تأثير المجتمع فيها.

قال تعالى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: «يُرَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْدِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» [النحل: ٢].

ثانياً: بشرية الأنبياء والرسل عليهم السلام:

الأنبياء والرسل بشر، يأكلون ويشربون، يجوعون ويعطشون، ويحزنون ويفرحون، وينامون، ويمرضون، وينسون، ويتعبون، ويستشرون، ويتزوجون،...، ونحو ذلك من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم، قال تعالى: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَا هُنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» [إبراهيم: ١١]، وقال عزّ وجلّ: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكُمْ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ» [الأنبياء: ٧، ٨]. وإنما اختارهم الله عزّ وجلّ من جنس المرسل إليهم، ليكونوا على صلة وثيقة بهم، شاعرين بأحساسهم، مطلعين على ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحجّة الدامغة، بإيضاح الطريق المستقيم لهم، وقد الكتاب والسنة على بشرية الأنبياء والرسل عليهم السلام:

أ- من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [التوبه: ١٢٨].

٢- قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

٣- قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْواجًا وَذُرِّيَّةً» [الرعد: ٣٨].

بـ- من السنة النبوية:

- ١- حدث أبي مسعود رضي الله عنه قال: ((أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَمَهُ فَجَعَلَ تَرْعِدُ فِرَاصُهُ فَقَالَ هَوْنَ عَلَيْكَ إِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا بْنُ امْرَأٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)).
- ٢- وعنـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيْتُ فَذَكَرُونِي)).
- ٣- تواضعـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسـيرته تـشهد بـبشرـيته، ولا مجال لأـحد في إنـكار ذلك.
- ٤- عـبودـيـته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اللـهـ تعالى الـظـاهـرـةـ فيـ كـلـامـهـ وـأـدـعـيـتـهـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ))، وـغـيرـ ذـلـكـ الـكـثـيرـ، مـمـاـ يـشـهـدـ بـبـشـرـيـةـ النـبـيـ صـلـّىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـّمـ، وـيـنـفـيـ عنـهـ أيـ صـفـةـ مـنـ صـفـاتـ الـأـلوـهـيـةـ.

ثالثاً: فوائد وقوع الأعراض البشرية بالأنبياء عليهم السلام:

- تقـدـمـ أـنـ الـأـنـبـيـاءـ بـشـرـ، يـقـعـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـأـعـرـاضـ الـبـشـرـيـةـ كـالـابـلـاءـ وـالـمـرـضـ وـالـنـسـيـانـ وـالـقـرـ، ...ـ الخـ، مـمـاـ يـقـعـ عـلـىـ سـائـرـ النـاسـ، إـلـاـ أـنـ لـوـقـوـعـ هـذـهـ الـأـعـرـاضـ بـالـأـنـبـيـاءـ فـوـائـدـ تـتـلـخـصـ بـمـاـ يـأـتـيـ:
- ١- تعـظـيمـ أـجـورـهـمـ، فـالـبـلـاءـ وـالـأـمـرـاـضـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـاـ الـأـجـرـ الـعـظـيمـ، لـهـذـاـ قـالـ النـبـيـ صـلـّىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـّمـ: ((أـشـدـ النـاسـ بـلـاءـ الـأـنـبـيـاءـ ثـمـ الـأـمـلـاـلـ فـالـأـمـلـاـلـ)).
- وقـالـ الإـمـامـ القـشـيرـيـ: "لـيـسـ كـلـ أـحـدـ أـهـلـ لـلـبـلـاءـ، إـذـ الـبـلـاءـ لـلـأـلـيـاءـ، وـأـمـاـ الـأـجـانـبـ فـيـتـجاـوزـ عـنـهـمـ، وـيـخـلـىـ سـبـبـاـلـهـمـ".

وـالـلـهـ تـعـالـىـ وـإـنـ كـانـ قـادـرـاـ عـلـىـ أـنـ يـعـظـمـ أـجـورـهـمـ مـنـ غـيرـ اـبـتـلـاءـ وـمـشـقـةـ، إـلـاـ أـنـ حـكـمـتـهـ نـعـالـىـ اـقـضـتـ تـرـتـيـبـ ذـلـكـ عـلـىـ الـابـلـاءـ: «لـاـ يـسـأـلـ عـمـاـ يـفـعـلـ وـهـمـ يـسـأـلـونـ» [الـأـنـبـيـاءـ: ٢٣]ـ، وـلـيـكـونـواـ أـسـوـةـ لـغـيرـهـمـ مـنـ الـبـشـرـ.

- ٢- التـشـرـيعـ، فـسـهـوـ النـبـيـ صـلـّىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـّمـ فـيـ الصـلـاـةـ تـشـرـيعـ لـلـنـاسـ، وـتـعـلـيمـ لـهـمـ كـيـفـيـةـ سـجـودـ السـهـوـ؛ لـأـنـ دـلـالـةـ الـفـعـلـ قـدـ تـكـوـنـ أـفـوـىـ مـنـ دـلـالـةـ الـقـوـلـ.
- ٣- التـسـلـيـ بـأـحـوالـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ، وـذـلـكـ إـذـ نـزـلـ بـنـاـ مـاـ نـزـلـ بـهـمـ، إـذـ نـظـرـ العـاقـلـ فـيـ أـحـوالـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ، مـنـ مـرـضـ وـأـسـقـامـ، وـقـلـةـ مـالـ، وـأـذـىـ النـاسـ لـهـمـ، مـعـ عـلـوـ مـقـامـهـمـ، وـرـفـعـةـ شـائـنـهـمـ، فـإـنـهـ يـتـسـلـيـ وـيـتـصـبـرـ، فـلـمـ يـحـزـنـ عـلـىـ مـاـ نـزـلـ بـهـ مـنـ بـلـاءـ، وـمـاـ فـاتـهـ مـنـ حـطـامـ الدـنـيـاـ الـفـانـيـةـ.

٤- تنبية غير الأنبياء على خسارة قدر الدنيا عند الله تعالى، وذلك حين يرون الأنبياء عليهم السلام قد أعرضوا عنها، وانصرفوا عن ملادها ومغافنها.

ولكن ذم الدنيا الوارد في بعض النصوص، إنما هو في الدنيا الشاغلة عن الله تعالى وطاعته، أما الدنيا التي لا تشغله فلا ذم فيها، بل هي محمودة، وبذلك يعلم: أنَّ الدنيا ليست محمودة، ولا مذمومة لذاتها.

٥- التأكيد على بشرية الأنبياء عليهم السلام، وأنَّ منزلتهم الرفيعة لا تقتضي أن ينتفي عنهم ما يُصيب البشر مما لا ينافي كونهم أنبياء.

رابعاً: تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر:

الأنبياء عليهم السلام يشتركون جميعاً في قدر واحد وهو: النبوة؛ لذا اتفق علماء الإسلام جميعاً على كفر من كذب نبياً معلوم النبوة، وكذلك من سبَّ نبياً، أو انتقصه، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُبَدِّلُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصْرٍ وَنَكْفُرُ بِعَصْرٍ وَبَرِيدُونَ أَنْ يَتَخَلَّدُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» [النساء: ١٥٠].

. [١٥١]

خلاصة محاضرة: النبوة اصطفاء وبشرية الأنبياء عليهم السلام

- ١- النبوة اصطفاء و اختيار من الله عزّ وجلّ، ولا ثُنَّال بغير ذلك.
- ٢- الأنبياء والرسل عليهم السلام بشر، يحمل كل صفات البشر، إلا ما ينافي نبوتهم، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة.
- ٣- لوقوع الأعراض البشرية بالأنبياء عليهم فوائد عدَّة، منها: تعظيم أجورهم، التشريع، التَّسْلِي بأحوال الأنبياء عليهم السلام، التنبية على خسارة قدر الدنيا، التأكيد على بشرية الأنبياء عليهم السلام، وأنَّ منزلتهم الرفيعة لا تقتضي أن ينتفي عنهم ما يُصيب البشر مما لا ينافي كونهم أنبياء.
- ٤- تكذيب الأنبياء عليهم السلام أو الانتقاد منهم كفر وخروج من الملة.

وآخر دعوانا أنِّي الحمد لله رب العالمين
وصَلَّى الله وسلَّمَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين